بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ٦ رَجَبٍ ١٤٤٧هـ

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَهِيَ خَيْرُ زَادِ السَّالِكِينَ، وَأَفْضَلُ عُدَّةِ السَّائِرِينَ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَطُوبَىٰ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ مَوْلَاهُ، وَأَخَذَ مِنْ دُنْيَاهُ لِأُخْرَاهُ.

**عِبَادَ اللهِ:** إِنَّ الْحَذَرَ مِنْ خُسْرَانِ الْعَمَلِ، وَالنَّفْرَةَ مِنْ ضَلَالِ السَّعْيِ، نَهْجُ أُولِي الْأَلْبَابِ، وَسَبِيلُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَطَرِيقُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، يَبْتَغُونَ بِهِ الْوَسِيلَةَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَرْجُونَ بِهِ الْحُظْوَةَ عِنْدَهُ، وَنُزُولَ دَارِ كَرَامَتِهِ إِلَىٰ جِوَارِ أَوْلِيَائِهِ وَالصَّفْوَةِ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ سَعَادَةَ الْمَرْءِ تَكُونُ فِي تَوْفِيقِ اللهِ لَهُ إِلَىٰ إِصَابَةِ الْحَقِّ، وَلُزُومِ الْجَادَّةِ، وَالِاهْتِدَاءِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعِثَارِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الزَّلَلِ، بِعِبَادَةِ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَالِازْدِلَافِ إِلَيْهِ بِمَا شَرَعَهُ سُبْحَانَهُ، مِمَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛ فَفِي هَذَا صِيَانَةٌ لِلْعَبْدِ، وَوِقَايَةٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُضَمَّ إِلَىٰ زُمْرَةِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ نَبَّأَنَا سُبْحَانَهُ بِأَحْوَالِهِمْ، وَأَوْضَحَ حَقِيقَتَهُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، وَهُمْ -كَمَا رَجَّحَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ- كُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا يَحْسِبُهُ فِيهِ مُصِيبًا، وَأَنَّهُ لِلَّهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ مُطِيعٌ مُرْضٍ، وَهُوَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ لِلَّهِ مُسْخِطٌ، وَعَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِهِ جَائِرٌ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** إِنَّ لِضَلَالِ السَّعْيِ ضُرُوبٌ وَأَلْوَانٌ لَا يَكَادُ يَحُدُّهَا حَدٌّ، أَوْ يَسْتَوْعِبُهَا بَيَانٌ، غَيْرَ أَنَّ مِنْ أَقْبَحِهَا وَأَشَدِّهَا نُكْرًا، وَأَعْظَمِهَا ضَرَرًا: شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ، وَمُفَارَقَةَ الْجَمَاعَةِ، وَالتَّرَدِّيَ فِي حَمْأَةِ التَّمَرُّدِ وَالْعِصْيَانِ، وَاسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ، وَقَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ

اللهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ، بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ الْمَدْخُولَةِ، وَالْفَتَاوَىٰ الْمُغْرِضَةِ الَّتِي لَا تَسْتَنِدُ إِلَىٰ دَلِيلٍ صَحِيحٍ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ فِقْهٍ وَلَا نَظَرٍ سَلِيمٍ قَوِيمٍ، فَمَتَىٰ كَانَ الْقَتْلُ وَالتَّرْوِيعُ أَمْرًا مَشْرُوعًا فِي هَذَا الدِّينِ؛ وَفِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّه مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاس جَمِيعًا﴾، وَمَتَىٰ كَانَ الْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ طَرِيقًا إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ، وَسَبِيلًا إِلَىٰ جَنَّاتِهِ؟ وَمَنِ الْمُنْتَفِعُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ يَا عِبَادَ اللهِ؟ وَكَيْفَ يَرْضَىٰ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَىٰ أَدَاةٍ بِيَدِ أَعْدَاءِ دِينِهِ، وَخُصُومِ وَطَنِهِ وَأُمَّتِهِ، يَبْلُغُونَ بِهَا مَا يُرِيدُونَ مِنَ الشَّرِّ وَالْخَبَالِ، وَهُمْ قَارُّونَ مَوْفُورُونَ، لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ؟ وَكَيْفَ لَا تَقَرُّ أَعْيُنُ هَؤُلَاءِ الْمَوْتُورِينَ الْخَاسِرِينَ وَهُمْ يَرَوْنَ مَنْ يُقَاتِلُ عَنْهُمْ، وَيَضْرِبُ بِسِلَاحِهِمْ، وَيَتَحَيَّزُ إِلَىٰ فِئَتِهِمْ، ثُمَّ أَلَمْ يُحَذِّرْنَا رَبُّنَا مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَاتِّبَاعِ خُطْوَاتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُوَالَاةً لِلشَّيْطَانِ وَطَاعَةً لَهُ، وَاتِّبَاعًا لِخُطُوَاتِهِ؟!

أَلَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ فِي سُوءِ مُنْقَلَبِ مَنْ أَصَابَ دَمًا حَرَامًا؟ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا». ثُمَّ أَلَمْ يَطْرُقْ سَمْعَ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْفَعْلَةَ النَّكْرَاءَ مَا جَاءَ مِنَ الْوَعِيدِ الصَّارِخِ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَىٰ - صَلَوَاتُ اللهِ

وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - لِكُلِّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، أَوْ قَتَلَ رَجُلًا غَدْرًا، وَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَىٰ دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَلَفْظُ ابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ «أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَىٰ دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا»، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ». وَفِي هَذَا مِنَ الْفَضِيحَةِ لِصَاحِبِ الْغَدْرِ وَالتَّشْهِيرِ بِهِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، مَعَ مَا أُعِدَّ لَهُ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ.

**عِبَادَ اللهِ:** مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي الْخَوَارِجِ: إِنَّهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، هُمُ الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا؛ إِذْ يَحْسَبُونَ أَنَّ قَتْلَ الْمُنَاجِينَ رَبَّهُمْ فِي الصَّلَوَاتِ يُرْضِي رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ وَالذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ، وَالْعَظَائِمِ وَالْخَطِيئَاتِ، وَأَنَّهُ مِمَّا زَيَّنَهُ لَهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَاللهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْهُمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:** إِنَّ لِنِيرَانِ الْحِقْدِ ضِرَامًا تَطِيشُ مَعَهَا الْعُقُولُ، وَتَصَمُّ الْآذَانُ، وَتَعْمَىٰ

الْأَبْصَارُ؛ فَلَا يَنْتَفِعُ صَاحِبُهُ بِعَقْلِهِ وَلَا بِسَمْعِهِ وَلَا بِبَصَرِهِ، لَا يَنْتَفِعُ بِعَقْلِهِ حِينَ لَا يَضَعُ الْأُمُورَ فِي نِصَابِهَا، وَلَا يَتَفَكَّرُ فِي مَآلِهَا، وَلَا يَنْظُرُ فِي عَوَاقِبِهَا، وَلَا يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ حِينَ يُصِمُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمَاعِ النُّصْحِ، وَيُوَلِّي مُسْتَكْبِرًا مُعْرِضًا عَنْ قَبُولِ التَّذْكِيرِ الَّذِي يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِبَصَرِهِ حِينَ يُغْلِقُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ طَرِيقَ الْحَقِّ، هُنَالِكَ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ شَرًّا وَوَبَالًا عَلَيْهِ، وَخُسْرَانًا يَبُوءُ بِهِ، وَضَلَالَ سَعْيٍ لَا يُغَادِرُهُ، وَنِهَايَةً تَعِسَةً مُظْلِمَةً خَائِبَةً تَنْتَظِرُهُ. وَهَذَا هُوَ حَالُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الضَّالِّينَ.

**عِبَادَ اللهِ:** إِنَّ طَائِفَةً ضَالَّةً تَعِيثُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، فَتُرِيقُ الدِّمَاءَ الْبَرِيئَةَ، وَتَقْتُلُ النُّفُوسَ الْمَعْصُومَةَ، تُسَمِّمُ الْعُقُولَ، وَتُؤَوِّلُ الْمَنْقُولَ، يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ، وَيُكَفِّرُونَهُمْ وَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ بِالرِّدَّةِ بِأَدْنَىٰ شُبْهَةٍ، وَيَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، لَا تَجْثُو رُكَبُهُمْ بَيْنَ أَيْدِي الْعُلَمَاءِ، وَلَا يَسْمَعُونَ لِنُصْحِ النَّاصِحِينَ الْحُكَمَاءِ، قَدْ رَكِبُوا رُؤُوسَهُمْ، وَامْتَطَوْا أَهْوَاءَهُمْ، حَتَّىٰ أَوْدَىٰ بِهِمْ جَهْلُهُمْ وَعِنَادُهُمْ إِلَىٰ مَهَاوِي الرَّدَىٰ وَالرَّذِيلَةِ.

إِنَّ تِلْكَ النَّابِتَةَ مِنَ السُّوءِ مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَنْمُوَ وَتَتَرَعْرَعَ إِلَّا فِي حَالِ جَهْلِهِمْ بِأَحْكَامِ الدِّينِ، وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَاسْتِقَائِهِمْ أَفْكَارَهُمُ الْمُنْحَرِفَةَ، وَتَوَجُّهَاتِهِمُ الْمُتَطَرِّفَةَ مِنَ الْغُرَفِ الْمُغْلَقَةِ، أَوِ النَّائِيَةِ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَعَبْرَ الشَّبَكَاتِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ، وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، فَاكْتَفَوْا بِهَا عَنِ الْأَخْذِ مِنَ الْمَصَادِرِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، إِضَافَةً إِلَىٰ عُقَدٍ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ رَكِبَتْ بَعْضَهُمْ، وَأَسَرَتْهُمْ عَنْ وَاقِعِ الْحَيَاةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ فِي أَبْنَائِكُمْ، احْرِصُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَلَوَّثُوا بِأَفْكَارِ هَؤُلَاءِ الْمَارِقِينَ.